الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

البلقان

تجتاز الحرب الآن فترة هدنة قصيرة ، تنتظر فيها الأداة الحربية نتيجة المباحثات السياسية ، فهى فترة صراع عقلى قاس ، يتناول خريطة العالم بأجمعها ، فالمباحثات السياسية دائرة فى روما وبرلين وطوكيو ولندن وموسكو ووشنجطن ، وتتناول موضوعاتها مستقبل الدول فى العالم القديم والجديد

ولكن أبرز هذه المباحثات وأكثرها جذباً لأنظار العالم ما يدور حول البلقان ، تلك البقعة التى تنبأ لها العالم قبل أن تنشب الحرب بأنها ستكون مسرح نضال عنيف ؛ ودامت الحرب عشرة شهور والبلقان تترقب ما تكشف عنه الأيام والحوادث. فهل تكشف الحوادث الأخيرة عن مصير (نصف دستة) من الدول؟ وهل ينتقل ميدان الحرب إليها أم تتولاها يد الاتفاقات السياسية بالبتر والترقيع ؟

هذه أسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، فالسياسة تلد كل غريب ، والمناورات الحربية تخلق المتناقضات ، ولا نستطيع أن نجزم إذا كانت المناورات السياسية الحالية مناورات عسكرية يقصد بها شغل الرأى العام عن حركة عسكرية تعد ، أم أنها مباحثات سياسية فعلاً ؛ فالحرب الآن لا تقتصر على البندقية والمدفع ، ولكنها تمتد إلى الحالة المعنوية للشعوب

نصيب الأسد

وعلى أية حال ، فالبلقان الآن فى كفة القدر ، تتطاحن من أجلها دول أوربا الدكتاتورية علناً ، وإن كانت تذيع فى الوقت نفسه أنها متفقة كل الاتفاق ، وقد تتفق سياسياً كما قالت الأنباء البرقية ولكنه سيكون اتفاق الإكراه ، لأن الروسيا سواء اتفقت أم لم تتفق ستخرج من الغنيمة « بنصيب الأسد » ، وستضطر إيطاليا إلى ابتلاع أمانيها والتخلى عن أطماعها التى طالما رددها موسوليني ، وسترغم ألمانيا على نسيان وعودها . فالموقف الآن غير ما كان من سنة ، فقد رق الآن قناع ستالين وبانت من خلفه أنياب أقسى مما كان موسوليني وهتلر يظنان ، وأصبح لروسيا وحدها تقرير مصير تلك الدول

أما انجلترا فيبدو للناس أنها تتفرج ، وربما كان هذا صحيحاً ، فالانتظار فى مثل هذه الأحوال أصلح من التسرع ، لتكشف كل من هذه الدول عن نياتها ، حتى يتاح لانجلترا أن تعمل ، وعندئذ تضرب ضربتها فى الصميم ؛ فقد تأخرت دول البلقان فى العمل ، وكم نادى ساسة الإنجليز باتحاد تلك الدول ، ولكنها ظنت سلامها فى الحياد وتمسكت به ، إلى أن حانت اللحظة التى صار الحياد فيها انتحاراً ، وأصبح اتحادها قليل القيمة ، بعد زوال القوة العسكرية الفرنسية من الميدان ، وبعد ما فرغ الجيش الألمانى من أعماله البرية ، واستتب له الأمر فى ميدان أوربا الغربى ، فأصبح جزء كبير من وحدانه مطلق السراح

وبرغم الأحداث الأخيرة ما زالت مصالح انجلترا فى البلقان راجحة ، وما زالت تركيا واليونان موليتين لها ، ووقفت يوجوسلافيا صامتة

رنين النقود

وما كادت الروسيا تستولى على بساربيا وشمال بكوفينيا حتى هبت « بلغاريا » و « هنغاريا » تطالبان بنصيبهما ؛ الأولى تطالب بترانسلفانيا ، والثانية تطالب بدوبروجة ؛ فقد صبرتا طويلاً وضحتا كثيراً ، وهما فى معاملاتهما تحدوهما غاية واحدة تنطبق على مثل بلغارى يقول : « إن أحب الموسيقى إلىّ هو رنين النقود التى تملأ كيسى »

فهل ملأت معاملات ألمانيا مع هاتين الدولتين فى الفترة الماضية كيسهما نقوداً ؟ الحقيقة أن الفترة الماضية كانت فترة تضحية من جانب الدولتين ، فكانتا تقدمان لألمانيا محصولات بلادهما مقابل بعض المنتجات الألمانية الناقصة أو القليلة القيمة ، وكانتا ترسلان إليها المواد الغذائية وتستوردان مدافع تنقصها الذخيرة ، وآلات كاتبة أو أدوات تصوير ، فقد تحفظت ألمانيا فى تسليح هاتين الدولتين حتى لا تكونا خطراً يهددها إذا حانت ساعة الفصل

وها هما تان الآن تطالبان بالثمن ، ولا شك أن الفترة الحالية أحسن فترة تتاح لهاتين الدولتين لمواجهة ألمانيا التى من مصلحتها أن يستقر السلام فى مخزن مؤونتها فى البلقان ،

فرومانيا متأثرة بصدمة الروسيا وألمانيا تريد التفرغ لانجلترا ولا تريد شغل نفسها فى ميدانين ، والروسيا متحفزة لتنفيذ خططها غير مقيدة باتفاق أو تعهد إلا مصلحتها الخاصة

وتنتهز الروسيا — كما شاهدنا حتى الآن — الفرص للعمل فتترك الدول تتطاحن حتى إذا قررت عملاً سبقتها إلى الحصول على ما تريد وتضعها أمام الأمر الواقع ، وأهم أغراض الروسيا فى البلقان أولاً : الاستيلاء على آبار البترول فى رومانيا ، وثانياً : الوصول إلى مضيق البوسفور والدردنيل كما قلنا من قبل ، ونجاحها فى الحصول على هذه الأغراض رهن بالظروف التى تعدها الدول المتطاحنة

نصيب ايطاليا

وانحط مركز إيطاليا فى التطاحن الحالى ، فبعد أن كان لها صوت مسموع ومركز محترم فى البلقان أصبحت كلمتها ثانوية ومن قبيل الاستشارة فحسب ، إذ أصبحت تابعة لهتلر تستمد من خططه خططها ، واضطرتها ظروف الحرب الحالية إلى الخضوع للخطط الألمانية خضوعاً تاماً

وقبل أن تنغمر إيطاليا فى سياسة المحور كانت ذات أطماع كبيرة ، ولم يكن استيلاؤها على ألبانيا إلا خطوة لاعتبارها من من دول البلقان ، فمن ألبانيا فتح أمامها الطريق إلى بلاد اليونان ويوجوسلافيا ، فضلاً عن أنها أتمت سيطرتها على بحر الأدرياتيك ووضعت منافذ يوجوسلافيا البحرية تحت سلطتها ، فإن مضيق أترنتو لا يتجاوز طوله ٤٠ ميلاً يسهل إقفاله بالألغام أو السيطرة على منبع مائه بالمدافع الساحلية

ويرجع اهتمام إيطاليا بالبلقان إلى ما قبل الحرب الماضية ، فكانت المنافسة بينها وبين الامبراطورية على أشدها فى البلقان وخصوصاً فى ألبانيا ؛ فأنشأت كل منهما عدة مدارس لنشر ثقافتها فى تلك البلاد ، وكانتا تتنافسان فى جذب الطلبة إلى معاهدها فتقدمان لهم الملابس والغذاء مجاناً ، وكانت كل منهما تحرص على عدم إغضاب الطلبة وتوقيع العقوبة القاسية عليهم حتى لا ينتقلوا إلى مدارس الأخرى

ولسياسة إيطاليا القديمة يفضلها البلقانيون على ألمانيا ولكن ضعف إيطاليا الحالى واعتمادها على ألمانيا دفعا بالدول البلقانية إلى الارتماء فى أحضان ألمانيا لحمايتهم من أطماع الروسيين

ولا نستطيع أن نجزم الآن بما سينتج من المحادثات الدبلوماسية التى تدور الآن ، ولكنه من الواضح أن الدولتين اللتين تسميان لسيطرتهما على دول البلقان هما الروسيا وألمانيا ، فرومانيا تستنيث بألمانيا وتقدم لها فروض الطاعة ، وتيسر لها التجارة أملاً فى حمايتها ، ولإيجاد مصالح قوية تحتم على ألمانيا الدفاع عنها

ولا نستبعد أن أنباء الاتفاق الأخير بين رومانيا من ناحية والمجر وبلغاريا من الناحية الأخرى على إعطاء الدولتين الأخيرتين بعض ما تطمعان فيه فى رومانيا اتفاقاً نهائياً ، فهو كما يبدو لنا مجرد تهدئة أعصاب لا يلبث أن يمحى عند ما تضع الحرب أوزارها ، لأن معناه أن تخرج ألمانيا من البلقان صفر اليدين وهذا ما لا ترضاه ، إذ من الراجح أن تكون يوجوسلافيا من نصيب إيطاليا بحكم قربها منها ولطول سواحلها على بحر الإدرياتيك مما يهدد سيادة إيطاليا البحرية فى المستقبل ؛ والغالب أن تنقض ألمانيا هذه الاتفاقات عند ما تسنح لها الفرصة لتحقق أطماعها فى البلقان سواء بالسيطرة التجارية أو العسكرية

* * *

فرنسا تعتنق الهتلرية

نعم فرنسا التى كانت تدين منذ عهد الثورة الفرنسية بمبادئ الحرية والمساواة والإخاء ، تقبر الآن الحرية والمساواة والإخاء لتقلد الهتلرية ، فيتنادى قادتها بالديكتاتورية ويدعون إلى ترك المبادئ التى طالما كانت تضىء للعالم سبل المدنية والتقدم ، لترجع إلى مبادئ القبيلة ، لتقدس الأسرة بعد ما كانت تقدس العالمية ، وتعمل للفرد بعد ما كانت تعمل للعالم ، فتنكمش مثلها العليا من التعميم إلى التخصيص ، وتنحصر أفكارها فبعد ما كانت تقود العالم بآراء مفكريها ، ومبادئ أهلها ، تزول عنها الصبغة الدولية لتحل محلها صبغة الأسرة

وسبقتها ألمانيا فى هذا السبيل من قبل ، وفى مثل ظروف الهزيمة واليأس التى تعانيها فرنسا الآن ، ولكن ألمانيا فى عهد غليوم الثانى كانت أقرب إلى الدكتاتورية منها إلى الديمقراطية ؛ تكونت فى عهد ولهلم الأول وبسمارك دولة حديثة العهد لم تتم وحدتها إلا بعد حرب الأمم ، فلم يتعاقب على وحدتها جيلان حينما حلت بها كارثة الحرب العظمى ، ولم يشعر أهلها حتى ذلك الوقت بثقل وطأة النظام الفردى ، فلم يقدموا لمبادئ الديمقراطية

ما قدمت فرنسا من ضحايا ، ولم يحطموا من مظاهر الظلم والجور ما حطم الفرنسيون فى سجن الباستيل ، ولم تمر بهم خطوات التقلب من الملكية المطلقة ، إلى حكومة الإدارة ، إلى الإمبراطورية إلى الجمهورية

لم تتقلب ألمانيا المتحدة فى تجارب أنواع الحكم من جمهورية وامبراطورية كما تقلبت فرنسا ، فلم يتول حكم ألمانيا إلا عاهلان فتيسر لولهم الأول بناء وحدتها ، وجاء غليوم الثانى فكان نكبة عليها ، وظل الاتحاد الجرمانى طول عهده بالحياة فى ظل الحرب وللاحتفاظ بالوحدة ، ولم يفكر أهله تفكيراً جدياً فى نظام الحكم الملائم

تقليد غير موفق

فهل ينطبق هذا على فرنسا التى عاشت القرون الطويلة متحدة تجرب ألوان الحكم من فردية مطلقة ، إلى فردية مقيدة ، إلى حكومة شعبية ؟ وهل يستطيع الفرنسى أن ينزع من قلبه حب الحرية ليعيش مقيد الحرية ، محصور التفكير ، تعد عليه أنفاسه وتفرض عليه تصرفاته كما يريد هتلر ونصيره بتان ؟

كلا . إن حب الحرية فى دم كل فرنسى ، فإذا شغلته النكبة الحالية عن مبادئه ، فلن يلبث أن يعود إلى رشده ويذكر حريته عند ما تستقر الحال ، فالصدمة الحالية لن تسلب الفرنسى الحقوق التى سطرها بدمه ، فهو الآن فى نوبة من الغيبوبة التى تزول عند ما تزول الصدمة

وهذه المظاهر التى أعلنها المارشال بتان إنما هى تقليد أعمى يخالف الثقافة الفرنسية ، ويتنافر مع طريقة المعيشة الفرنسية ،

ولعل الدافع للمارشال بتان على هذا التقليد ما يراه من تشابه بين حال فرنسا الآن وحال ألمانيا عقب الحرب الكبرى ، من انهيار استقلال أمته وتغير أقيسة المعيشة فيها ؛ فإذا كانت هذه نظرته ، فقد فاته ما بين الشعبين من اختلاف فى التقدير والحالة العامة

فقد خرجت ألمانيا من الحرب الكبرى بعد نضال دام أربع سنوات أكل الأخضر واليابس ؛ فأنهكت موارد البلاد حتى عم الجوع وتضخم النقد حتى فقد قيمته الشرائية ، وأصبحت ألمانيا فى حالة إفلاس ، وانتشرت البطالة والشيوعية بين الشعب ، فلم يجد الناس عملاً يكتسبون الرزق من ورائه ، وظهرت الفتن والثورات

تشغيل العاطلين

فى هذه الظروف برز هتلر فوزع الوعود ما وسعه الكلام ، وما سمحت به الاستعارات ؛ وكان الشعب فى حالة اضطراب ، لا يصدق أنه خسر الحرب بعد ما بذل من جهد ومال ، فقال لهم : ما جذبهم إليه إذ اتهم اليهود بأنهم سبب خسارة الحرب بما نسجوا من دسائس ومؤامرات

وزاد على ذلك أن استدرج الشعب فجعل من حزبه مكتباً لتشغيل العاطلين ، وعلى هذا الأساس بنى حزبه ، متوسلاً إلى تحقيق برنامجه باضطهاد اليهود وفصلهم وإحلال الألمان محلهم ، وبتكوين فرق مقاتلة تحمى المصانع الكبيرة من جهة ، وتكره أصحاب الأعمال على إطاعته من جهة ثانية

فهل هذه حال فرنسا الآن ؟ هل عمت البطالة فرنسا وانهار نقدها وجاع أهلها ؟ إن فترة الحرب كانت قصيرة فلم تمهد لهذه الأحداث ؛ وفرنسا دولة قليلة السكان لم يشك أهلها كما شكى العالم من أزمة البطالة الحادة فى السنوات الماضية

استقرار الحكم

فليس للشعب الفرنسى من الأسباب ما يدفعه إلى كره مبادئه والسخط عليها ، وإذا كانت هناك أخطاء فهى أخطاء القادة من أمثال بتان ؛ أضف إلى ذلك أن نصر ألمانيا لم يتم ، وما زالت انجلترا فى الميدان ، وما زال دى جول يمثل الشعب الفرنسى ، وفى نصر انجلترا خلاص فرنسا من كارثتها الحالية

فتجربة بيتان تجربة وقتية لن تلبث أن تزول ، لأنها لا تقوم على أسس صحيحة ، ولم يبلغ يأس الشعب الفرنسى حده ليترك مبادئه السامية ويشايع الهتلرية ؛ وإن كانت هناك أخطاء فى عدم استقرار الحكم

فليحاول هتلر أن يقلب رجال الحكم ويضع مكانهم رجالاً نازيين ، وليحاول بيتان أن يجاريه فى تنفيذ هذه السياسة ماوسعته المجاراة فإن فرنسا لم تصدم الصدمات التى تنسى شعبها حبه للحرية والمبادئ التى ضحى من أجلها

فرنسى الثورى
بكالوريوس فى الصحافة